

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الواحد الخمسون والأخير

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين يقول المؤلف - رحمه الله تعالى -:

" باب لا يستشفع بالله على خلقه "

عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال: " جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ: " سبحان الله، سبحان الله!! "

" فما زال يسبح، حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: " ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد " وذكر الحديث. رواه أبو داود .

[الشرح]: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:-

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: " باب لا يستشفع بالله على خلقه " وهذا الباب مناسبتة لكتاب التوحيد: أن الاستشفاع بالله على أحد من خلقه تنقص لجناب الربوبية، وذلك أن الشافع أقل منزلة غالباً من المشفوع إليه فكيف تعكس القضية، ويستشفع بالله الذي له المنزلة وله المثل الأعلى على أحد من خلقه حتى لو كان ذلك رسول الله ﷺ! فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أنه استشفاع بالله على خلقه تنقص وهضم لجناب الربوبية، وقدح في التوحيد؛ فلهذا جاء هذا الحديث في النهي عنه وهو: حديث جبير بن مطعم: وجبير بن مطعم: أحد أصحاب رسول الله ﷺ جبير بن مطعم بن عدي من بني عبد مناف وكان ذا وجهة في قومه رضي الله عنه توفي سنة سبع وخمسين. قال: " جاء أعرابي إلى النبي ﷺ " وتعلمون أن الأعراب هم الذين يسكنون البوادي فمن سكن البادية قيل عنه أعرابي. ففرق بين أعرابي وعربي: فالعربي اسم للجنس، وأما الأعرابي فهو من سكن البادية العرب يقال له أعرابي، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ومن شأن الأعراب أن يكثر فيهم الجهل ولهذا قال ربنا - عز وجل: (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً)، وذلك لأنهم لم ينالوا حظاً من العلم مثل ما يناله المستوطنون في المدن فمن استوطن المدن زال عنه وصف الأعرابية وحصل له من التعلم من النبي ﷺ ما لم يحصل لمن كان في باديته، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تعرب المهاجر يعني أن يرجع إلى باديته بعد هجرته فيكثر فيهم الجهل ومن شواهد ذلك ما جاء في هذا الحديث فقال: " يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال: " نهكت: يعني جهدت وضعفت وتلفت " وجاع العيال ": من يعولهم الإنسان من زوج وولد، لما؟ بسبب انقطاع المطر قدم بهذه المقدمة قال: " نهكت

الأنفس وجاع العيال، **وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك**": يعني استسق اطلب لنا السقيا **"فإننا"** وليته اقتصر على الشق الأول لكنه علل ذلك وأتبعه قال: **"فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله"**: أي هاتين الجملتين صواب وآيتهما خطأ؟ الثانية هي الصواب؛ لأن قوله لأننا نستشفع بالله عليك يعني نجعل الله شافعاً بيننا وبينك في طلبتنا هذه وهذا أمر عظيم جداً أن يجعل الله - سبحانه وتعالى - بمنزلة الشافع إلى النبي ﷺ، وأما الجملة الثانية وبك على الله فهذا لا بأس به أن يطلب من النبي ﷺ في حياته الدعاء، وهذا نوع من الشفاعة؛ لأنه قد مر بنا أن **الشفاعة**: هي طلب الخير للغير، وأنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر وذلك لأن الشافع انضم إلى المشفوع له فبعد أن كان وترًا صار شفعا هذا سبب تسميتها، المهم تأمل في أثر هذه الجملة ووقعها على نبينا ﷺ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -.

"سبحان الله" ما معنى سبحان الله؟ أي تنزيها لله. ف **"سبحان"** اسم مصدر بمعنى تنزيها لله، سبحان الله سبحان الله، **فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه**: يعني عرف التأثر في وجوه أصحابه، فأصحابه ﷺ يغضبون لغضبه ﷺ ويرضون لرضاه فلما رأوا نبيهم وحبيبتهم قد لحقه هذا التأثر تأثروا هم وظهر ذلك في وجوه أصحابه، وتسييح النبي ﷺ لربه في هذا المقام مناسب جداً؛ لأنه معظم لله تعالى مقدر لمقام الربوبية فلما رأى هذا المقام قد نيل منه غضب الله - عز وجل - وسبح، ولهذا قال الله تعالى له وامثل أمره {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} وماذا؟ {وسبحان الله وما أنا من المشركين} فمن أسس ديننا وتوحيدها التسبيح فلهذا كان العلم بالله يقوم على ساقين التسييح والتحميد فحمد الله معناه وصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال، وسبحان الله تنزيهه عن صفات النقص والعيب ومماثلة المخلوقين فإذا اجتمع التسييح والتحميد حصل التوحيد تحقق التوحيد ولهذا قال ربنا - عز وجل - {سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين} فجمع بين التسييح والتحميد، طيب قال "حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال النبي ﷺ: **"ويحك"** وهي كلمة زجر مثل ويلك لكنها قد تكون ألطف لالتماس العذر للمتكلم بسبب جهله.

"أتدري ما الله؟" وهذا الاستفهام منه يعني فيه إشارة إلى قلة علم المخاطب وغلبة الجهل عليه وحصول الجفاء منه، أتدري ما الله هكذا يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - **إن شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه**: وهذا إنما وقع من الأعرابي بسبب هذا الجهل ولا يزال إلى يومنا هذا يقع ممن هم قليلي العلم على غير صلي بمجالس الذكر وأهل العلم من هذا لا يزال الناس يتحدثون بمثل هذه الوقائع وما يشابهها، قال: **"إن شأن الله"** يعني صفته ومقامه سبحانه وما ينبغي له "أعظم من ذلك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه" **قال رواه أبو داود**: هذا الحديث في الحقيقة قد رواه جمع وقد اختلف في ثبوته فممن رواه من أهل الحديث إضافة إلى أبي داود: ابن أبي عاصم والطبراني والبخاري وابن خزيمة والبيهقي، وقد قواه ابن القيم - رحمه الله - وأجاب

عن عله، وعن ضعفه ابن عساكر، واستغربه أيضا ابن كثير رحمهم الله، وشيخنا - رحمه الله - قال فيه ضعف ولكن معناه صحيح، فعلى تقدير ضعفه من ناحية السند إلا أن معناه صحيح لا يستشفع بالله على أحد من خلقه لكن يستشفع بالمخلوق الذي يستأهل أن يكون شافعا على الله كالنبي ﷺ فإنه يطلب منه الدعاء وحصول المطلوب.

إذن هذا الحديث مطابق تماما للترجمة: لأنه يدل على تحريم الاستشفاع بالله على أحد من خلقه لما في ذلك من تنقص ربوبيته. فنستفيد منه:-

- هذه المسألة وهي تحريم الاستشفاع بالله على أحد من خلقه.
- وفيه وجوب تنزيه الله عما لا يليق به عموما.
- وفيه قوة تعظيم النبي ﷺ لربه وعلمه به؛ لأن هذا الذي اعتراه يدل على قوة الإيمان وامتلاء القلب من التعظيم . ألم تروا أن الإمام مالك - رحمه الله - لما قال له السائل كيف استوى أطرق برأسه وعلته الرخصاء وانصب عرقا - رحمه الله - لسؤال ألقى عليه وقع عليه كوقع الجبل ثم رفع رأسه وأجاب بالجواب المشهور الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا صاحب بدعة ثم أمر به فأخرج، فبعض الأسئلة تتم عن يعني انطواء القلب على فساد وآفة فلذلك يغلظ في الرد على السائلين.
- كذلك أيضا وجوب إنكار المنكر وتعليم الجاهل.
- ونستفيد أيضا جواز الاستشفاع بالنبي ﷺ في حياته، من أين أخذنا هذه الفائدة؟ من كون النبي ﷺ لم ينكر عليه ذلك أنكر عليه الجملة الأولى ولم ينكر عليه الجملة الثانية.

لكن تأمل قولنا في حياته أما بعد مماته فلا تجوز مخاطبته بذلك: كأن يقف الإنسان على قبره ويقول يا رسول الله اشفع لنا يا رسول الله سل الله لنا كذا وكذا هذا لا يجوز هذا توسل بدعي ولهذا لما توفي النبي ﷺ واحتاج المسلمون إلى الاستسقاء في زمن عمر هل قام عمر على قبر النبي ﷺ واستشفع به قال يا عباس قال اللهم إنا كنا إذا أجدبنا استسقينا بنبيك فسقيتنا وإنا نستشفع بعم نبيك قم يا عباس فادع فلا يستشفع بالنبي ﷺ ولا يتوسل به بعد مماته أما في حياته فنعم يتوسل بطاعته وبالافتداء به والتسنن بسنته وبدعائه.

وكذلك أيضا بعد البعث فإنه له الشفاعة العظمى؛ فإن الناس يأتون إليه ويطلبون منه الشفاعة حينها يعتذر منها آدم وأولو العزم من الرسل حتى تأول النوبة إليه فيقول أنا لها أنا لها أما ما يقع من بعض الجهال الآن من الاستشفاع بالنبي ﷺ بعد موته في غيبته أو عند قبره فهذا توسل بدعي فيه أيضا الحذر من كل ما يوهم التسوية بين الله وبين نبيه وهذه لطيفة لأن هاتان جملتان كأنهما كفة ميزان قال فيهما السائل فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله فكأنه جعل النبي ﷺ والله تعالى كأنهما جعلهما بمنزلة سواء فهذا معنى مذموم.

ومن صورته الواقعة في حياة الناس ما يفعله بعض الناس حينما يزخرفون محاريب المساجد ويكتبون الله محمد أو يرسمون بعض السور المزخرفة ويكتبون الله محمد على حد سواء فإن هذا يوقع في قلوب العامة وفي قلوب الناشئة حتى إنك تسمع من بعض الأعاجم في المطاف من يقول يا الله يا محمد يظن أن هذين الاسمين بمنزلة واحدة فينبغي التنبيه لهذه الدقائق.

◆ طيب نستمع إلى المسائل فيه مسائل:

- الأولى: إنكار على من قال: " نستشفع بالله عليك ".

[الشرح]: وهذا الإنكار وقع بالقول وبالفعل وقع بالقول وذلك بتسيححه ﷺ وبقوله ويحك وأما بالفعل فتمعر وجهه ﷺ وإن كان هذا ليس صريحا في الحديث لكن حصول ذلك لأصحابه دليل عليه فإن وجه النبي ﷺ مرآة صقيلة لقلبه فلهذا دوما تجد في الأحاديث فرأينا وجهه يتهلل كأنه مذهبة أو فعرنا الكراهة في وجهه ونحو هذه الكلمات فيظهر منه صدق الانفعال.

- الثانية: تغييره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

[الشرح]: نعم هذا ما أشرت إليه آنفا أن هذا التغير تغير فعلي انعكس على وجوه أصحابه

- الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: " نستشفع بك على الله " .

[الشرح]: نعم فهذا يدل على أن الاستشفاع به في حياته بمعنى طلب الدعاء منه أمر مشروع غير منكر

- الرابعة: التنبيه على تفسير " سبحان الله " .

[الشرح]: نعم أن معناها وتفسيرها أي تنزيها لله

- الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.

[الشرح]: نعم هكذا كان المسلمون وفي هذا شواهد كثيرة كقصة الرجل الذي دخل عليه وهو يخطب الجمعة وفي حديث مشهور معروف فاستسقى حتى لم ينزل عن المنبر إلا والمطر يتحادر على لحيته وحتى إنهم قالوا له يوما " يا رسول الله استسق لنا حتى يقوم فلان فيسد مربده بثوبه " قال " اللهم اسق لنا حتى يقوم فلان فيسد مربده بثوبه " وبالفعل مطروا حتى قالوا قم، قم فسد مربدك بثوبك وقع هذا استجابة من الله لنبيه ﷺ.

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه ، قال : " انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : " السيد الله تبارك وتعالى " ، قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فَقَالَ « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِبَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ » .. رواه أبو داود بسند جيد .

وعن أنس رضي الله عنه : " أن ناسا قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : يا أيها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلي الله - عز وجل - " . رواه النسائي بسند جيد .

[الشرح]: باب ما جاء في حماية المصطفى حمى التوحيد وسده طرق الشرك:

عقد المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد: لأن التوحيد لا يتم إلا بتحقيق أركانه وسد ما يفضي إلى النقص منه فما يفضي إلى النقص منه هو بحماية جنابه، وقطع الطريق على كل ما يفضي إلى الشرك فلا يتم إذن الحفاظ على التوحيد إلا بالبناء والصيانة وهكذا كل شيء لا بد في إقامته من بناء ولا بد بعد البناء من الصيانة هذه الصيانة هي الحماية التي أرادها المصنف بهذا الباب.

باب ما جاء في حماية المصطفى: فلا شك أن النبي ﷺ حمى حمى التوحيد، وسد جميع الطرق المفضية إلى الشرك ووصفه بالمصطفى وصف مطابق: فإن الله تعالى اصطفاه (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)، فأنبأه الله مصطفون أخيار فوصفه بذلك وصف مطابق لا حرج فيه، "باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد" "حمى التوحيد": والحماية كما أسلفنا هي الصيانة عن كل ما يثلمها، ويفسدها، إما في أصلها، أو في كمالها الواجب أو في كماله المستحب.

ذكر فيه حديث عبد الله بن الشخير: عبد الله بن الشخير: هو عبد الله بن عوف بن كعب الحريشي أسلم يوم الفتح وله رواية. قال: "انطلقت في وفد بني عامر قومه إلى رسول الله ﷺ فقلنا أنت سيدنا" يعني أنهم استهلوا الخطاب له بتبجيله والثناء والمدح كما تفعل الوفود حينما تقدم على الكبراء تعودوا هكذا في جاهليتهم "فقالوا أنت سيدنا" فبادرهم بالقول: "السيد الله تبارك وتعالى": فأراد النبي ﷺ أن يلحق هذا الوفد حديثي العهد بالإسلام أن يقتصدوا في الكلام وألا يدب فيهم الغلو فيين أن السيادة المطلقة هي لله - عز وجل -

ولهذا اختلف العلماء في إطلاق اسم السيد على غير الله - عز وجل -: فقال قوم بالجواز أنه يجوز أن يطلق هذا على غير الله - عز وجل -؛ واستشهدوا بقصة سعد بن معاذ حينما أقبل بعد غزوة بني قريظة محمولا على حمار إذ كان قد أصيب في أكحله فقال النبي ﷺ "لأنصار قوموا إلى سيدكم"، ومنع ذلك آخرون؛ مستدلين بحديث الباب، وروي ذلك عن [مالك]، والصحيح: في هذا أنه إذا قصد السيادة المطلقة فلا شك أن هذا لا يجوز إلا لله تعالى فإن معنى السيد الذي حصل له السؤدد غاية السيادة فإن غاية السيادة إنما تكون لله - عز وجل .

والآن في هذه الأزمنة صار لفظ السيد لفظا مبتزلا أليس كذلك؟ فكل فاتورة أو خطاب يصدر من أي جهة يكتب أو يدبج بالسيد فلان وقد لا يكون سيدا ولا على زوجته، ربما يكون ليس له سيادة على أحد فما عادت

هذه اللفظة تعطي معنى السيادة، لكن في وقت مضى إذا قيل السيد فإنه ينصرف إلى الكبراء والأمرء ومن له وجهة في قومه، فإذا انتفى هذا المحذور وهو اعتقاد السيادة المطلقة للمخاطب فلا بأس - إن شاء الله - لأن الأصل أنه يجوز أن يسمى المخلوق بما يسمى به الخالق على اعتبار أن ما للمخلوق يليق به وما للخالق يليق به. لكن لعل نبينا ﷺ لحظ هذا المعنى في قوم حديثوا عهد بإسلام وفدوا عليه فخشي عليهم من أن يتجارى بهم الأمر فيغلو فيه ﷺ.

فقالوا متمين كلامهم: **"وأفضلنا فضلا وأعظمتنا طولا"** هكذا تنمة قد هيئوا كلاما يقولونه بين يديه - صلى الله عليه وسلم - **والفضل المقصود به:** الخيرية والزيادة، فأنت أخيرنا وأعظمتنا طولا يعني عطاء وبدلا، ولا شك أن النبي ﷺ كذلك وزيادة أفضلهم فضلا وأعظمتهم طولا وأكثر مما قالوا لكنه قال تربية لهم: **"قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان": قولوا بقولكم:** يعني قولوا بما يخاطب به بعضكم بعضا في أحاديثكم المعتادة **أو بعض قولكم:** يعني مما ذكرتموه الآن لكن ما المحذور؟ **ولا يستجرينكم الشيطان:** ما معنى لا يستجرينكم الشيطان؟ أي لا يتخذكم الشيطان جريا، **ومن الجري:** الجري هو الرسول والمندوب الذي يبعث لإبلاغ الخبر: يعني مثلا يريد شخص أن يبلغ رسالة إلى آخر فيبعث جريا يعني شخص سريع يريد يذهب لينقل الكلام قال **"ولا يستجرينكم الشيطان":** يعني لا يتخذنكم جريا بمعنى رسولا ووكيلا كما يقال يا أخي لا تكن رسولا للشيطان لا تكن بريدا للشيطان.

فهذا الحديث مناسب جدا للترجمة: لما فيه من النهي عن الغلو بالنبي ﷺ في المديح فنهاهم النبي ﷺ عن الألفاظ المتكلفة في المديح.

فنستفيد من هذا الحديث:-

- **أولا:** تواضعه ﷺ، وأدبه مع ربه، ولهذا لما خير النبي ﷺ بين أن يكون ملكا رسولا أو عبدا رسولا أشار إليه جبريل أن اتضع فقال بل أكون عبدا رسولا، **وفعلا ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في التواضع الكريم، تواضع ليس في دناءة تواضع كريم شريف،** ولهذا لما رآه رجل وارتعد منه مهابة، قال: هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة. القديد: هو اللحم المجفف، يعني أنا كسائر الناس فلم يكن النبي ﷺ يتعالى أو يتباهى أو يتخذ الخدم والحشم والأهبة بين يديه كلا كان على سجيته ومع ذلك جمع الله تعالى له بين المحبة والمهابة فمن رآه هابه ومن جالسه أحبه، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن.

- نستفيد أيضا **التحذير من الغلو في المديح والتكلف في الألفاظ؛** وهذا يقع كثيرا عافنا الله وإياكم من الشعراء فإن الشعراء يستجريهم الشيطان ويستهوهم فيجري على ألسنتهم من وحيه ووسواسه ونفخه ونفته ما يجعلهم يرفعون المحقرين إلى أعلى أي الدرجات وهذا كثير فيهم، ولهذا قال النبي ﷺ إذا رأيتم المداحين فاحثوا في

وجوههم التراب لأنهم يخرجون الإنسان عن طبيعته يعني يمدحون الشخص حتى يفقد الجاذبية @٢٩:٣٠@
 بين السماء والأرض ما يدري يعني أين هو - نسأل الله العافية عافانا الله وإياكم - ولهذا يقال إن قبيلة من العرب
 يقال لهم بنو أنف الناقة يعني ما أعجبهم هذا الاسم فطلبوا من شاعر أن يعني يسوي لهم تحسين يعني سمعة قال
 بيتا قال هم الأنوف والأذنان غيرهم وهل يساوى بأنف الناقة الذنبا فصارت مدحة بعد أن كانت سبة فالشعر
 عجيب

- كذلك أيضا نستفيد أن **السؤدد المطلق لا يكون إلا لله - عز وجل - لقوله "السيد الله"**.
 - نستفيد أيضا أن من أسماء الله الحسنى السيد لأن هذا صريح قال السيد الله.
 - ونستفيد أيضا الحذر من مزلق الشيطان لقوله "ولا يستجربنكم الشيطان".
 - ونستفيد أيضا أنه لا بأس بشيء يسير من المدحة من غير كذب ولا فحش لقوله "قولوا بقولكم أو
بعض قولكم"، فالشيء اليسير الذي يتضمن التعريف فلا بأس به ولهذا النبي ﷺ قال من محمد رسول الله إلى
 هرقل عظيم الروم فهذا فيه مدحة وهو إخبار بالواقع، أما الأسجاع المتكلفة والألقاب المفخمة وغير ذلك فإنها لا
 تغني شيء.

ثم قال المصنف - رحمه الله - :- **"وعن أنس رضي الله عنه أن ناسا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا
 وسيدنا وابن سيدنا"**: كذلك كانت هذه مقدمة لخطبة أراد هؤلاء الناس أن يجلو فيها رسول الله ﷺ ويخاطبوه بها
 ولا شك أن النبي ﷺ خير البرية وهو سيد ولد آدم ولا ريب لكن النبي ﷺ لم يقرهم على ذلك فقال: **"يا أيها
 الناس"**: ولا حظوا أنهم قالوا يا خيرنا وابن خيرنا مع أن أباه عبد الله بن عبد المطلب ليس له شأن يذكر توفي في
 شبابه وليس له سيادة لكنهم يعني جرت العادة أن يمدح الأب لأجل الابن فإن هذا يكون أبلغ كأنك أنت من
 سلالة الأماجد وإلا فإن أبوه الأعلى عبد المطلب أكثر سؤددا من أبيه الأدنى عبد الله فقال: **"يا أيها الناس قولوا
 بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان"** لا يستهوينكم: أي لا يوقعنكم في الهوى أو يذهب بعقولكم ولا يستهوينكم
 الشيطان، **"أنا محمد"**: هكذا باسمه الصريح دون مقدمات ودون ألقاب، **"أنا محمد عبد الله ورسوله"**، هذان
 الوصفان هما الوصفان الكريمان الذي يوصف بهما النبي ﷺ أن يقال عبد الله ورسوله كما قال في الحديث الآخر "لا
 تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله".

وهذان الوصفان فيها رد على أهل الجفاء وعلى أهل الغلو: فقوله "عبد الله" رد على أهل الغلو الذين
 يرفعونه فوق منزلته، وقوله "ورسوله" رد على أهل الجفاء الذين لا ينزلونه منزلته التي تليق به وهي الرسالة ،
 فلهذا كان الجمع بين الوصفين هو التعبير المناسب، وقال: **"ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي"** فربما توهموا أنه
 يعجبه ذلك فبين لهم أنه لا يجب هذا وأن نفسه الطيبة الكريمة المتواضعة تستكف وتأبى مثل هذه الأساليب قال:

ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله - عز وجل -: وهي منزلة الرسالة والنبوة، [رواه النسائي بسند جيد]: وهو بحمد الله صحيح.

فهذا الحديث مناسب أيضا للترجمة: لما فيه من النهي عن المدح بغير الصفة التي وصفه الله تعالى بها وذلك حماية منه ﷺ لجناب التوحيد وسد طرائق الشرك، فنستفيد من هذا الحديث ما استفدنا من سابقه :-

- من النهي عن الغلو في شخص النبي ﷺ وترك الألفاظ المتكلفة .
- ونستفيد أيضا حمايته ﷺ لجناب التوحيد وسده جميع الطرق المفضية إلى ذلك .
- ونستفيد أيضا أن أجل وصفين يوصف بهما النبي ﷺ العبودية والرسالة .
- ونستفيد أيضا الرد على أهل الغلو والرد على أهل الجفاء .
- ونستفيد أيضا التحذير من استزلال الشيطان وإيقاعه في الهوى، وذلك أن الشيطان يتفنن -عافانا الله وإياكم- في جر الناس إلى الوقوع في الشرك فإنه ربما أتى إلى الصالحين والعباد والأخيار من باب تعظيم النبي ﷺ فأوقعهم في المحذور كما نراه عيانا من الذين يغفلون في النبي ﷺ في الموالد المبتدعة، ويدبجون القصائد، والمدائح النبوية، ويأتون بأقوال في الحقيقة لا تليق إلا بالله - عز وجل - كما أنشدناكم سابقا أبياتا من بردة البوصيري يقول فيها يخاطب النبي ﷺ في غيبته يا أكرم الخلق ما لي من ألؤذ به سواك عند حلول الحادث العمم إن لم تكن يوم معادي آخذا بيدي عفوا ولا فقل يا زلة القدم -عيادا بالله- فإن من جودك الدنيا ودرتها ومن علومك علم اللوح والقلم سبحانه الله ماذا أبقى الله يعني جعل من علوم النبي ﷺ علم اللوح والقلم فهذا لا شك أنه من استهواء الشيطان واتخاذ الشاعر جريا له فيجب الحذر من هذا وألا يسلك بين الناس بدعوى محبة النبي ﷺ من كان يحب النبي ﷺ حقا فليلزم سنته وأما ما سوى ذلك من الدعاوى فباطل.

◆ نستمع إلى المسائل.....فيه مسائل

- الأولى: تحذير الناس من الغلو.

[الشرح]: نعم هذا بين في الحديثين

- الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له أنت سيدنا.

[الشرح]: نعم أن يقول السيد الله هكذا ينبغي لمن قيل له ذلك

- الثالثة: قوله: " لا يستجرينكم الشيطان " مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

[الشرح]: صحيح هذا ملحظ يعني ليس كل كلام حق قيل فإنه يقر بل يجب أن ينظر إلى مآلاته وآثاره فإنهم قد قالوا قولاً هو في الواقع كذلك لكنه أنكر عليهم خوفاً من أن يتجارى بهم الغلو وينزلوه فوق منزلته

- الرابعة: قوله: " ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي " .

[الشرح]: نعم أن النبي ﷺ قد أحله ربه منزلة كريمة وهي منزلة العبودية والرسالة فلا يزداد عليها ولهذا وصفه الله تعالى بالعبودية التامة لأن العبودية أيها الإخوان درجات هناك العبودية الكونية التي يخضع لها كل أحد إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا فالعبودية في هذا المعنى تشمل المؤمن الكافر البر الفاجر الإنسان الحيوان والطير والهوام، وهناك عبودية خاصة وهي العبودية الشرعية التي يقوم بها المؤمنون من الملتزمين بأوامر الله الملتزمين مناهيه، وهناك عبودية خاصة الخاصة وهي عبودية الأنبياء والمرسلين وأكملها عبودية الخليلين إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما، فهذه هي العبودية التامة قد وصفها الله تعالى بها في أشرف منازلها في أشرف ليلة مرت به سبحانه الذي أسرى بعبده ليلة الإسراء والمعراج، في أشرف أحواله وهو حال تنزل القرآن تبارك الذي نزل الفرقان على عبده، في أشرف أعماله وهو الدعوة إلى الله وأنه لما قام عبد الله يدعوه فلا شك أن وصف العبودية وصف شريف كامل:

ومما زادني شرفا وتيها وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

" باب ما جاء في قوله تعالى:

{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [الزمر: ٦٧] ."

[الشرح] هو الباب الخاتم لهذا الكتاب المبارك أراد به شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أن يجعله مسك الختام: لما فيه من تعظيم الرب - سبحانه وبحمده - قال: **"باب قول الله تعالى وما قدروا الله حق قدره"**. إذن مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن زينة التوحيد هو أن يجل العبد ربه ويعظمه غاية التعظيم فلذلك أورد فيه الأحاديث الدالة على العلو كما سنرى قال: **"وما قدروا الله حق قدره"** أي أن المشركين ما عظموا الله - عز وجل - حق تعظيمه الذي ينبغي له، **"والأرض جميعا قبضته يوم القيامة"** هذه جملة حالية تدل على عظمة الرب الذي ما قدره حق قدره فمن كان شأنه أن الأرض جميعا قبضته يعني في قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه فحقه التقدير والإجلال والتعظيم - سبحانه وبحمده -، **"- سبحانه وتعالى - عما يشركون"**: يعني تنزيها له عما وقع من هؤلاء المشركين من عبادة الأصنام معه - سبحانه وتعالى - وهذه الآية تدل على أن الله - سبحانه وتعالى - يقبض الأرضين يوم القيامة ويطوي السماوات بيمينه كما سيأتي في الحديث.

قال في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - "الخبر": هو عالم اليهود فهو العالم الراسخ في العلم وقيل إنه سمي حبرا من التحبير وذلك لأن الخبر يبقى فلما كان العلم يرسخ في قلبه صار بمنزلة الخبر فقيل هذا في معناه وعلى كل حال فالخبر هو عالم اليهود وجمعه

أحبار، "إلى رسول الله ﷺ" وأنتم تعلمون أن اليهود كانوا مجاورين للنبي ﷺ في المدينة، "فقال: يا محمد"، لا يخاطبه بلفظ الرسالة؛ لأنهم لم يسلموا له بذلك، مع أن قلوبهم مستيقنة برسالته، وصفته موجودة عندهم في كتبهم، لكن الكبر منعهم من ذلك. "فقال يا محمد إنا نجد أي في كتبنا أن الله يجعل السماوات على إصبع" أو "أصبع"، وحيث ما نطقها فلا إشكال، ولهذا قيل: وهمز أنملة ثلث وثلاثة التسع في أصبع واختم بأصبوع أنملة وأصبع لا تغلط فيها أبداً أنملة حرفها الأول همزة وحرفها الثالث لو غيرت بين الحركات فجعلتها فتحة في الهمزة ومثلاً فتحة في الميم الثالثة وهمز أنملة ثلث وثلاثة أو جعلت الأولى مضمومة والثانية مكسورة فيبقى عندك تسعة احتمالات فهو لغة فصيحة، ومثلها أصبع الهمزة في أصبع الأولى والباء فلك أن تستعمل معها الحركات الثلاثة الفتحة والكسرة والضمة وتراوج بينهم فتخرج بتسع لغات كلها صواب ثم لك في أصبع عاشرة وهي أن تقول أصبوع كل ذلك فصيح وهمز أنملة ثلث وثلاثة التسع في أصبع واختم بأصبوع طيب هذه فائدة لغوية.

"قال إنا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع، فيقول: - أي الله - عز وجل - أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه": يعني أنه تبسم تبسماً بليغاً حتى ظهرت النواجذ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر. ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة. وفي رواية لمسلم: لأن هذا الحديث في الصحيحين وفي رواية لمسلم: "والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله". وفي رواية للبخاري "يجعل السماوات على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع" أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً "يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون"

الله أكبر - يا لها من روايات تملأ القلب تعظيماً لله - عز وجل - وهذه الروايات حق على حقيقتها ولا تستدعي أي لون من ألوان التمثيل والتشبيه فإن بعض الناس إذا سمع مثل هذه الأحاديث استشنع وأصابه رعدة كما مر بنا في فوائد باب مضى وسبب ذلك أنه يتبادر إلى ذهنه لوثة التشبيه لكن من عرف الله علم أن هذه أسماء وأن الحقائق مختلفة فحتى لو اتفقت الأسماء لكن المسميات مختلفة لكن ذلك يدل على أن الله - سبحانه وتعالى - له يد يقبض بها ويطوي وله أصابع - سبحانه وتعالى - لا ندرك كنهها ولا كيفيتها لكننا نثبت حقيقتها وليس من لازم إثبات حقيقتها إدراك كيفيتها لا تلازم بين القضيتين نثبت ما أثبت الله لنفسه وما أثبت له نبيه.

فإذا قال الله - سبحانه وتعالى -: "والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة"، قلنا: ما قال ربنا له قبضة له صفة القبضة، والقبضة: من صفات اليد والسماوات مطويات بيمينه فنثبت له أو ليده الكريمة صفة الطي فهو يطوي، وحين يقول نبينا ﷺ "يأخذهن يهزهن" فإننا نثبت ما أثبت النبي ﷺ لربه، وحينما يقول النبي ﷺ يذكر ذكر

الأصابع فكذاك، ولا على كلام نبيه ﷺ فإن شروط القبول قد اجتمعت في كلام الله وكلام نبيه - صلى الله عليه وسلم - **فشروط قبول الخبر:-**

- أولها: **العلم المنافي للجهل** والله تعالى أعلم بنفسه وبغيره ونبيه ﷺ أعلم بربه

- ثانيا: **الصدق المنافي للكذب** والله تعالى أصدق قيلا ونبيه ﷺ صادق مصدوق

- الثالثة: **البيان** والله - سبحانه وتعالى - أحسن حديثا ونبيه ﷺ أفصح الناس فليس فيه فهاهة ولا عي.

- والرابع: وهو يتعلق بنينا ﷺ **النصح** فنينا ﷺ أنصح الأمة للأمة.

فإذا اجتمعت هذه الأسباب الأربعة لزم قبول الخبر، ولم يجوز رده، ولا تأويله، ولا التجني عليه بأنواع

التأويلات الباطلة، التي سلكها أهل التأويل من المتكلمين فنثبت ما أثبت الرب لنفسه معتقدين أنه حق على

حقيقته ولا نشقى بها؛ ولهذا شقي أهل التأويل بهذه الأحاديث وقالوا إن النبي ﷺ ضحك من قول الخبر يعني

استهجانا له لأن اليهود أهل تجسيد وما رأوا أن في الحديث التصريح بقوله تصديقا لقول الخبر هكذا قال ابن

مسعود رضي الله عنه فكيف يأتي هؤلاء ليقولوا إن النبي ﷺ ضحك استهجانا وازدراء لقول الخبر هذا كله -

والعياذ بالله - من شؤم المقدمات الفاسدة وإلا فلا مانع من هذا الأمر ما دام قد صح به الخبر فإننا نعتقده وأنه حق

على حقيقته لكن عقولنا لا تطيق إدراك كلفيته فالله - سبحانه وتعالى - كما أخبر نؤمن بالمعنى.

يقبض الأراضين ويطوي السماوات وينادي سبحانه "أنا الملك أنا الجبار أين ملوك الأرض" فلا يجيبه أحد -

سبحانه وبحمده - فهذا يدل على كمال عظمته سبحانه وجلالته وقدره الذي لا يقدر فيجب على المؤمن أن يعتقد

هذا في حق ربه - سبحانه وتعالى - وفي الحديث مسائل كثيرة وتفصيلات ليس هذا أوان طرحها.

لكن **مما يشكل قوله "ثم يأخذهن بشماله"**؛ فإن بعض الشراح قد قال عن هذه اللفظة إنها غير محفوظة شاذة،

واستدل بقول النبي ﷺ "وكلتا يديه يمين مباركة"؛ فقال إن هذه اللفظة الشمال غير محفوظة، **والصحيح أنها**

لفظة ثابتة مروية عن النبي ﷺ بالسند الصحيح؛ وإنما قال النبي ﷺ و"كلتا يديه يمين مباركة مراده أن شمال الله

ليست كشمال المخلوقين فالله تعالى له يدان كريمتان يمين وشمال لكن شماله ليست كما المخلوقين المخلوقون في

الغالب تكون الشمال أنقص وأضعف من اليمين فلما خشى النبي ﷺ أن يتوهم متوهم هذا النقص نزه الله عن

ذلك وقال "وكلتا يديه يمين مباركة"، ثم قال وروي عن ابن عباس قال: "ما السماوات السبع والأرضون

السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم" @٥٣:٠٥@

ثم قال المصنف:- وعن ابن مسعود قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها": السماء الدنيا: هي أقرب سماء إلى

الأرض ولهذا سميت دنيا لدنوها، والتي تليها: يعني الثانية، "خمسة عشر عام وبين كل سماء خمسة عشر عام، وبين

السماء السابعة والكرسي خمسة عشر عام، وبين الكرسي والماء خمسة عشر عام، والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا

يخفى عليه شيء من أعمالكم" أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن عبد الله قاله الحافظ الذهبي - رحمه الله - قال وله طرق، أيضا ممن رواه ممن روى هذا الحديث الدارمي وابن خزيمة والطبراني والبيهقي والخطيب البغدادي، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح وصححه الذهبي فكما ترون أن هذا الحديث الذي يبين خلق السماوات والطباق والأقطار التي بينها حديث احتمله أهل الإسلام ورواه طبقات من المحدثين في مصنفاتهم وصححوه بحمد الله.

ثم قال وعن العباس بن عبد المطلب: وهو عمه عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ " قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : " بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر الذي هو الماء _ بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله - - سبحانه وتعالى - - فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم " أخرجه أبو داود وغيره .

[الشرح]: هذا الحديث يعرف بحديث الأوعال، ولكن المصنف لم يذكرها هنا ذكر الأوعال، والمقصود بهم حملة العرش الثمانية، **وحديث الأوعال مختلف فيه**؛ فقد رواه أيضا إلى جانب أبي داود، الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وقد حسنه الترمذي، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، وقال ابن العربي، وهو ممن شرح الترمذي، حسن صحيح، واحتج به ابن خزيمة، وصححه الجوزقاني، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم؛ فهذا يدل على أن الأمة أيضا احتملت هذا الحديث حديث الأوعال الذي فيه ذكر المسافات بين السماوات وكثف كل سماء. فيجب علينا أن نعتقد ما دلت عليه هذه الأحاديث من عظم خلق السماوات والأرض، وأعظم من ذلك الفائدة الكبرى وهو إثبات علو الله - عز وجل - بذاته فوق مخلوقاته فإن قارئ هذا الحديث يفهم منه إثبات العلو المطلق لله - عز وجل - فكما أنه علي بصفاته هو علي - سبحانه وتعالى - بذاته فذاته فوق كل شيء كما قال عن نفسه هو الظاهر وفسره نبيه - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء" فله العلو المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله* والحديثان مناسبان جدا للباب لما يشعران من عظمة الرب وجلاله وعلوه على مخلوقاته.

◆ **ونستفيد فوائد عدة منها:-**

- ما تقدم من بيان عظمة الرب وجلاله سبحانه.
- ونستفيد منه أيضا **عظم الأجرام السماوية، والرد على الملاحدة الذين يؤمنون بكون ليس له خالق؛ فهم يقولون ليس ثم إلا فضاء مجرات تقاس بالسني الضوئية لا إشكال لا اعتراض على هذا هي لا شك تقاس بالسني**

الضوئية، لكن الله تعالى فوق الجميع هذا الذي نعتقده، ومن إيماننا بالغيب أن نعتقد أن ربنا - سبحانه وتعالى - له العلو المطلق وأن العرش هو سقف المخلوقات والله فوق العرش -
كذلك مما نستفيده إثبات **علو الله - سبحانه وتعالى - علوا ذاتيا.**

- وبناء عليه نستفيد **الرد على نفاة العلو ونفاة العلو هم الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة** ومن سار على طريقتهم فإن منهم من يقول بحلول الله في كل مكان تعالى الله عما يقولون، بينما الشرع والعقل والفطرة والإجماع كله يدل على علو الله فوق سماواته حتى قال بعض علماء الشافعية إن في القرآن العظيم أكثر من ألف دليل يدل على علو الله بذاته، ومنهم من قال فيه ألفي دليل.

◆ نختم بذكر المسائل..... فيه مسائل:

- الأولى: تفسير قوله تعالى: { وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }.

[الشرح]: وقد فسرها لنا من لا ينطق عن الهوى ﷺ

- الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه - ﷺ - لم ينكروها ولم يتأولوها .

[الشرح]: نعم يعني هذه العلوم التي تتضمن إثبات علو الله - عز وجل - وإثبات صفاته مما بقي في كتبهم يجدونها عندهم ومع ذلك لم ينكروها ولم يأولوها كما صنع بعض المنتسبين إلى الإسلام من أهل القبلة كالمعتزلة والجهمية ومن وافقهم.

- الثالثة: أن الخبر لما ذكر للنبي - ﷺ - صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

[الشرح]: نعم لقول ابن مسعود "فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه" تصديقا لما قال الخبر ثم استشهد النبي ﷺ بالآية.

- الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله - ﷺ - لما ذكر الخبر هذا العلم العظيم.

[الشرح]: وهذا الضحك منه ﷺ تعجبا وتصديقا لموافقة ما عنده ما جاء به القرآن.

- الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى .

[الشرح]: وهذا قد جاء في رواية الصحيحين عند البخاري ومسلم وما انفرد به أحدهما عن الآخر فله تعالى يدان كريمتان حقيقتان.

- السادسة: التصريح بتسميتها الشمال .

[الشرح]: نعم لقوله في رواية مسلم "بشماله" وقلنا إن من قال إنها غير محفوظة فقوله مرجوح وإنما قال النبي ﷺ "وكلتا يديه يمين مباركة" حتى يدفع توهم من توهم أن الشمال في حق الخالق كالشمال في حق المخلوق أنقص من

اليمن فكلتا يديه يمين مباركة.

- السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

[الشرح]: - الله أكبر - يقول أين الجبارون أين المتكبرون هؤلاء الذين يخرجون عن طورهم ويظنون في أنفسهم ما ليس لهم أين هم في ذلك اليوم لا يجيبه أحد أنا الملك أنا الجبار أين الجبارون أين المتكبرون فما أعظمها موعظة ممن وقع في نفسه شيء من ذلك.

- الثامنة: قوله: " كخردلة في كف أحدكم ".

[الشرح]: يعني أن هذا التشبيه في بيان حقر المخلوقات بالنسبة إلى الكرسي أو العرش.

- التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء.

[الشرح]: نعم لأنه قد وصفه في رواية ابن جرير كدراهم سبعة ألقيت في ترس.

- العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

[الشرح]: الله أكبر لأنه وصفه في حديث أبي ذر بأنه كحلقة من حديد ألقيت في فلاة بين ظهراي فلاة.

- الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء .

[الشرح]: لأنه جمع بينهما فلا يكون هذا هو هذا.

- الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء.

[الشرح]: بينه النبي ﷺ بأنه خمسمائة سنة.

- الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي .

- الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء .

- الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء .

[الشرح]: والعرش فوق ذلك.

- السادسة عشرة: أن الله فوق العرش .

[الشرح]: - سبحانه ويحمده - والله فوق ذلك.

- السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض .

[الشرح]: بين أيضا أنها خمسمائة عام.

- الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمس مائة سنة.

- التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات أسفله وأعلاه خمس مائة سنة.

هذا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.